المفردة القرآنية والتوجيه الدلالي

Quranic expression and semantic orientation

أ.د أحمد عزوز*

جامعة وهران 1 - السانية، (الجزائر)، azouzzhmed@hotmail.fr

تاريخ الارسال2022/12/29 **تاريخ القبول** 2023/01/14 **تاريخ النشر** 2023/02/07

ملخص:

لما كانت الكلمة هي اللبنة الأولى للآية القرآنية؛ بل هي روحها التي تستقيم فيها، لِما تؤدّيه من معان وإيحاءات، بجمالها وموقعها وأثرها الصوتي، فإنّنا نتناول في هذا البحث المفردة القرآنية وقيمتها التعبيرية ووظيفتها ودلالتها انطلاقا من السياق القرآني الذي وردت فيه والتركيب اللغوي الذي نسجت في خضمّه. وهناك فروق دقيقة بينها في الدلالة والاستخدام، فكلّ كلمة تحمل معنى خاصّا بها، وتؤدي معنى مغايرا لا تؤدّيه الأخرى التي تقترب من دلالتها، كما أنّ لكلّ واحدة مكانها اللائق بها، والتفاضل بينها إنّما يكون في النسج والتركيب. ولا يتجلّى الترادف في التعبير القرآني، ومن يراه موجودا، فإنّما هو من عدم إدراك الفرق بين دلالة الكلمات، وذلك لتساهله في استعمالها، وظنّه أنّها تحمل معنى واحدا.

الكلمات المفتاحيّة:المفردة ؛ المعنى؛ القرآن؛ الترادف.

Abstract:

The word is the first element of the Quranic verse; but it is its spirit in which it is upright, because it expresses of meanings and revelations it performs, and influence phonetic. In this research, we study the Qur'anic term, its expressive value, function, and significance based on the Qur'anic context in which it was mentioned and it's place in the linguistic structure. There are subtle differences between them in terms of connotation and use, as each word carries a meaning of its own, and carries a different meaning that is not fulfilled by the other that approaches its significance, just as each one has its appropriate place, and the difference between them is in weaving and composition. Synonymy is not evident in the Qur'anic expression, and whoever sees it as present, it is from not realizing the difference between the meaning of words, due to his negligence in using them, and his thought that they carry one meaning.

Keywords: Terrm; Meaning ;Quoranic; Synonymy

مقدمة

لقد تعدّدت وجوه إعجاز القرآن الكريم ومظاهره، فكانت من أبرزها اللسانُ العربيّ المبين الذي تميّزت مفرداته بدقّة اختيارها، وقوة إيحائها، وجمال إيقاعها، فأصابت المعنى وأدّت الغرض القرآني في أكمل صورة وأجلى بيان.

* المؤلف المرسل

ولما كانت الكلمة هي اللبنة الأولى للآية القرآنية؛ بل هي روحها التي تستقيم فيها، لما تؤدّيه من معان وإيحاءات، بجمالها وموقعها وأثرها الصوتي، فإنّنا نتناول في هذا البحث المفردة القرآنية وقيمتها التعبيرية ووظيفتها ودلالتها انطلاقا من السياق القرآني الذي وردت فيه والتركيب اللغوي الذي نسجت في خضمّه.

واختلف حول الموضوع كثير من الدارسين خاصة فيما يتعلق بالترادف في القرآن، ولكن الذي يهمّ أكثر كيف توظّف المفردة، ولماذا الاختلاف بينها وبين الأخرى وهما متقاربتا الدلالة، ولما يتم اختيار هذه وليس تلك؟

وقد أفاض في ذكر خصائصها الأدباء والبلغاء من أصحاب الملكات الفريدة، والمواهب الفذّة، فكانوا بين مقلّ في ذكرها ومكثر، ولم يقدموا من هذه الخصائص إلاّ قطرة من بحر لا ينضب أبدا. كما تناولت كتب الفروق اللغوية هذا الموضوع، ولكن في اللغة العامّة وليس في القرآن الكريم.

ومن القدماء الذي وقفوا على الموضوع الجاحظ والرمّاني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم كثير، ومن المحدثين الدكتور فاضل السامرائي.

ومن هنا فالخوض في المعاني الدقيقة لألفاظ القرآن الكريم يكشف لنا سرّ اختيار المفردة القرآنية؛ وما لها من مكانة من حيث رصانتها ودقة مدلولها، وهي تعدّ خطوة من خطوات التفسير البياني وأساسه، بحثها علماء الغريب القرآن ومشكله أيضا.

1- تعريف المفردة القرآنية وعلاقتها بالمعنى

ترتبط المفردة بعلم التركيب لأنها لا تفهم إلا فيه، وقد أدرك ابن فارس ما تتمتّع به لغة القرآن من استخدام خاص، فقد أوضح مميّزاتها، وذهب إلى أن هذه اللغة لا يمكن ترجمتها ونقلها إلى لغة أخرى، حيث قال:" وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عزّ وجلّ بالعربية"[1]. ويقول أيضا: "إنّ كلام الله جلّ ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وه كلام العليّ الأعلى خالق كلّ لغة ولسان"[2].

ولذلك أعجز الله عزّ وجلّ العرب بل البشر على الإتيان بشبيه القرآن في أكثر من آية ومنها:" قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعضِهم ظَهيرا"[3].

وتعني المفردة لغويا الوحدة، التي هي ضد الجمع والتركيب، فالفرد ما كان وحده، يقال فرَد يفْرُدُ وأَفْرَدْتُهُ جعلته واحدا، قال تعالى: "وزكريا إذ نادى ربَّهُ لا تَذَرْنِي فَرْداً وأنتَ خيرُ الوارِثين"[4]."ويسمون اللفظة الواحدة المفهِمة كلمة"[5].

وجاء في لسان العرب: "الفرد في صفات الله تعالى هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا مثل ولا ثاني، والفرد: الوتر والجمع أفراد وفُرادى. قال الليث: الفرد ما كان وحده، يقال: فَرَد يَفْرُدُ وأفردتُهُ جعلته واحدا، ويقال جاء القوم فراداً وفرادى (منونا وغير منون) أي واحدا واحدا[6].

ويهمّنا تحديد المفردة القرآنية تداوليا في البحث الذي نحن بصدده، ونقصد بها ذلك اللفظ الذي اختاره الله عزّ وجلّ ليبلّغ به رسالته عن طريق نبيّه الكريم محمد بن عبد الله (ص)، ونعني بالاختيار هنا الدقّة في الاستعمال ووضع هذه المفردة في هذا الموضع المناسب لها وبجوار من تأتلف معها وليس الأخرى التي تشبهها أو تقاربها في المعنى.

2- المفردة القرآنية لدى العلماء العرب القدامى

لقد عالج الدارسون العرب القدامى كثيرا من أبواب ومستويات هذا الموضوع وخاصة في كتب البلاغة والإعجاز. فتناولوا المستوى الصوتي، والصرفي والمعجمي، وكذا التركيبي والأسلوبي، وربطوا كل تلك المستويات بالدلالة.

ولعل أول الإشارات القديمة على دقة مواضع المفردة القرآنية في كتب القدماء، نجدها عند الجاحظ (ت255هـ) في قوله: "ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السَّغَب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة". وكذلك ذكر المطر، لأنّك لا تجد القرآنَ يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامّةُ وأكثرُ الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغَيْث"[7].

فقوله تعالى: لنبلُوَنَّكم بشيء من الخَوْفِ ونقْصٍ من الأَمْوال والأَنْفُس والثَّمَرات وبَشِّر الصّابرين"[8]، فالجوع هو القحط وهو ابتلاء من الله.

وقوله أيضا: "الذي أَطْعَمَهم من جوع وآمَنَهم من خوف"، فتنكير الجوع والخوف للتعظيم، إذ كانوا معرّضين للجوع والخوف، فأتمّ عليهم نعمتين بهما تَكْمل السعادة ويجتمع السرور.

أمّا السَّغَبُ فلها دلالة الجوع لكن من تعب ومنه قوله عزّ وجلّ: "في يوم ذي مسغبة"[9].

أمّا في المطر فقد قال تعالى: "وأَمْطَرْنا علَيها حِجارَة من سِجّيل مَنْضودٍ"[10]. وقوله: "ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر"، فكلمة المطر في القرآن الكريم ورد في أغلب الأحيان لتدل على العقوبة والعذاب والشر.

أمّا الغيث فهو المطر الغزير الذي يأتي بالخير والرحمة، وهو ما جاء عند الحاجة[11]. قال الله تعالى: "إنَّ اللهَ عِنده علمُ السّاعَة ويُنزّل الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرْحامِ وما تَدْري نَفْسٌ ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إنّ اللهَ عَليم حبيرٌ"[12].

كما استوقف أبا سليمان الخطابي(ت388هـ) موضعُ الكلمة القرآنية وبلاغتها فقال: "اعلم أنّ عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ذلك أنّ في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني، يحسب أكثر النّاس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة والحمد والشكر والبخل والشحّ أو كالتعب والضعة أو كقولك اقعد واجلس وبلى وذلك وذاك."[13].

فهذه الدقّة في التعبير واختيار اللفظة المناسبة التي لا يشاركها فيها مرادفها لا تكون إلاّ في باب الإعجاز البياني، قال ابن الأثير (ت630هـ): "ومن عجيب ذلك أنّك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلاّ أنّه لا يحسن استعمال هذه في كلّ موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلاّ من دقّ فهمه وجلّ نظره"[14]، ورهف حسه، وعلا ذوقه.

فلا توضع لفظة في الخطاب القرآني في الموضع الذي تعبّر فيه عن المراد إلا وتحمل قصدا أو دلالة غير واردة في أسلوب أو تركيب آخر.

وللمفردة القرآنية جمالية خاصّة، فهي مختارة، وموضوعة في المكان الذي يحسن بها، بحيث لا تعوضه مفردة قريبة منها دلاليا، ولو حصل ذلك لاختلّ المعنى و تشوّه البناء، وهنا يكمن إعجاز القرآن الكريم.

إنّ فهم سرّ جمال المفردة القرآنية يقتضي معرفة توظيفها في التعبير القرآني والعناصر التي تألّف منها البناء الفنّي، وائتلافها مع العناصر الأخرى في التركيب.

ولا تتفاضل الكلمات من حيث هي ألفاظ مفردة ، بل من حيث نسجها ودرجة التلاؤم بين معناها ومعنى اللفظة التي تسبقها والتي تليها. فالقرآن الكريم ينتقي ألفاظه ويختار كلماته، لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها، فيستخدم كل كلمة بدقة بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد ، يكاد السامع يؤمن بأنّ هذا المكان خلقت له هذه الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تؤدّي المعنى الذي أفادته أختها.

وعلى سبيل المثال قال تعالى:"لله مُلْكُ السَّماوات والأَرْض يَخْلق ما يشاء، يَهَب لمن يشاء إناثا، ويهَب لمنْ يشاءُ الذُّكور أو يزوِّجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما، إنّه على كلّ شيء قدير"[15].

نلاحظ في الآية استعمال الله عزّ وجلّ الفعل "وهب" للجنسين: الإناث والذكور، والهبة إنّما تكون في الخير، "ربّنا هب لنا من لدنك رحمة"، "وهبني من الصالحين"، فكلاهما هبة من الله سواء كان ذكورا أو إناثا.

قال ابن منظور: "الهِبةُ: العَطِيَّة الخاليةُ عن الأَعْراضِ والأَغْراضِ، فإِذا كَثُرَتْ سُمِّي صاحِبُها وَهَّاباً، وهو من أَبنية المُبالغة. غيره: الوَهَّابُ، من صفاتِ اللّه، المُنعِمُ على العباد، واللّهُ تعالى الوهَّابُ الواهِبُ". وبالتالي لا تعوض ب "أعطى" التي تعني ناول، ومنح التي تعني وهب ولكن لرد فضل الهبة.

وقوله عزّ وجلّ: "وإذا مسّ الإنسانَ ضرٌّ دعا ربَّه منيباً ثمّ إذا خوّله نعمةً نسيَ ما كان يدعو إليه من قبلُ وجعل للهِ أندادً لِيُضلَّ عن سبيله قلْ تمتّعْ بكُفرك قليلا إنّكَ من أصحابِ النارِ"[16].

يلاحظ التهديد الشّديد والوعيد الأكيد، ومع ذلك يقول تمتّعْ: كيف يوظف المتعة والتي لا تكون إلا في النعم، كيف هنا مأواه النار؟ "وجملة إنّك من أصحاب النار بيان للمقصود من جملة تمتّع بكفرك قليلا وهو الإنذار بالمصير إلى النار بعد مدّة الحياة. وصيغة الأمر في قوله تمتع مستعملة في الإمهال، والمراد منه: الإندار والوعيد.

والتمتّع: هو الانتفاع المؤقّت، والباء في "بكفرك" ظرفية أو للملابسة، وليست لتعدية فعل التمتّع، تمتع قليلا أنت آئل إلى العذاب لأنّك من أصحاب النار.

كما أنّ تصاريف الكلمات والفروق بينها تبرز أهمية معرفة تلك الفوارق لأهميتها في فهم القرآن الكريم، قال ابن فارس:" من فاته علمه فاته المعظم، لأنا نقول "وجد" كلمة مبهم، فإذا صرفناها اتضحت، فقلنا في المال "وُجْدا" وفي الضالة"وجدانا" وفي الغضب " مَوْجِدة"، وفي الحزن "وَجْدا"، وقال تعالى: وأمّا القاسطون فكانوا لجهنَّمَ حَطَبا"[17]، وقال تعالى: "وأَقْسِطوا إنّ اللهَ يُحبُّ المقْسِطين"[18]، إذ نلاحظ تحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل"[19].

3- الفروق في استعمال المفردات المتقاربة دلاليا

ومن ذلك قوله تعالى:" قالَتِ الأعْرابُ آمنّا، قل لم تُؤْمنوا، ولكنْ قولوا أَسْلَمْنا، ولَمّا يَدْخل الإيمانُ في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتْكم من أعمالكم شيئا، إنّ الله غَفورٌ رَحيم"[20]، فالإسلام غير الإيمان، والفرق بينهما شاسع، وشتّان بين التصديق الظاهري في الجوارح، أي الاقتصار على الدخول في الإسلام فقط، وبين الإيمان القلبي الذي يقرن القول بالعمل"[21]، ويدخل البشاشة والسعادة في القلوب.

ومن ذلك "الخوف" و"الخشية"، إذ لا يكاد يفرق بينهما، ولا شكّ أنّ الخشية أعلى من الخوف، وهي أشدُّ الخوف، فهي مأخوذة من قولهم: شجرة خَشيَّة إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية، والخوف من قولهم: ناقةٌ خَوفاء؛ إذا كان بها داءٌ، وذلك نقص وليس بفوات؛ ومن ثمّة خُصَّت الخشية بالله تعالى في قوله تعالى: " ويخشون رَبَّهم ويخافون سوءَ الحسابِ"[22].

وقال الزركشي: "وفُرِقَ بينهما أيضا، بأن الخشية تكون من عِظَمِ المخشيِّ، وإن كان الخاشي قويّا، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمرا يسيرا، ويدلّ على ذلك أنّ الخاء والشين والياء في تقاليبها تدلّ على العظمة؛ قالوا: شيخ للسيد الكبير، والخيش لما عظم من الكتّان، والخاء والواو والفاء في تقاليبها ندلّ على

الضعف، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوّة، وقال تعالى: " ويَخْشَوْنَ رَبَّهم ويخافون سوءَ الحسابِ"، فإنّ الخوف من الله لعظمته، يخشاه كلّ أحد كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربّما لا يخافه مَنْ كان عالما بالحساب، وحاسب نفسَه قبل أن يحاسب"[23].

"وقال تعالى: إنّما يَخْشى اللهَ من عِباده العلماءُ"[24] ، وقال لموسى: لا تخف"[25]، أي لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون.

فإن قيل: ورد: "يخافون ربَّهم"، قيل الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف، فيصح أن يقول: "يخشى ربَّه" لعظمته، ويخاف ربّه، أي لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى.

وفيه لطيفة، وهي أنّ الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكر صفتهم بين يديه، فقال: " يخافون رَبَّهم من فوقِهم ويفعلون ما يُؤْمَرون"، فبيّن أنّهم عند الله ضعفاء، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم، ذلك يدلّ على عظمة الله تعالى، فقال: " ويخشون ربّهم" الرعد، ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوّة الله تعالى قال: "رَبّهم من فوقهم"، والمراد فوقية بالعظمة"[26].

4-جرس المفردة القرآنية ودلالتها

يلفي الدارس لبلاغة القرآن الكريم مفردات تتميّز بميزات ثلاث هي:

1- جمال وقعها في السمع

2-اتساقها الكامل مع المعنى

3- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى.

فقد نجد في أسلوب بعض الأدباء كالجاحظ والمتنبي بعض هذه الميزات الثلاث، أمّا أن تجتمع كلّها معا، وبصورة مطردة لا تتخلف ولا تشد فذلك مما لم يتوافر إلا في القرآن.

فعلى سبيل المثال عندما ننظر إلى وصف كلّ من الليل والصُّبح: " والليلِ إذا عسعس، والصُّبحِ إذا تنفس"[27] فإنّنا نتعرَّف على رائحة المعنى قوي من الكلمتين: "عسعس" و"تنفّس". فالكلمة تبعث في الخيال صورة المعنى محسوسا مجسّما دون حاجة للرجوع إلى معاجم اللغة؟

وهل تستطيع أن تصوّر إقبال ظلام الليل، وتمدّده في الآفاق المترامية بكلمة أدقّ من عسعس"، أوَ هل تستطيع أن تتصوّر انفجار الضحى من مخبأ الليل، وسجنه بكلمة أروع من تنفَّس؟ بل هل تجد في المعاجم أدقّ من هاتين الكلمتين في التعبير عن هذين المعنيين؟[28]

وقوله تعالى:" يا أيّها الذين آمنوا، ما لكم إذا قيل لكم: انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض"[29]. إنّ الأداء الفني الذي قامت به لفظة "اثّاقلتم" بكل ما تكوّنت به من حروف، ومن صورة ترتيبها، ومن حركة التشديد على الحرف اللثوي "الثاء" والمدّ بعده، ثم مجيئ القاف الذي هو أحد حروف القلقة، ثمّ التاء المهموسة، والميم التي تنطبق عليها الشفتان ويخرج صوتها من الأنف، يلقى المتأمّل في نظام الحروف، وصورة أداء الكلمة ذاتها إيحاءها

للمتلقّي بالمعنى، قبل التعرّف على المعنى في المعاجم. إذ يلاحظ ذلك الجسم المثّاقل، الذي يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط في أيديهم في ثقل. فالبطء يُحس في تلفّظ الكلمة ذاتها الذي يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المثّاقل؟

ولو غيّرنا فقط الكلمة ب "تثاقلتم" لوجدنا الشدّة زالت منها وحلّت بدلها الخفّة والسرعة والنشاط، وبالتالي فإنّ التعبير البياني يتمّ باستعمال "اثّاقلتم" ولا يكون ب "تثاقلتم". وهكذا فإنّ الكلمة بجرسها وصيغتها يوحيان بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي عليه.

وفي قوله تعالى: "يوم يُدعّون إلى نارِ جَهَنَّم دعّا"[30]، دعّ المجرم: دفعه في جفوة وعنف وشدّة، زجره ونهره بغلظة. ساقه بقسوة وقهر وهو معنى قرآني، (فذلك الذي يدعّ اليتيم) يؤذي اليتيم، ولا يعطيه حقه. فالدعّ هو الدفع في الظهر بعنف، والذي يجعل المدفوع – في كثير من الأحيان– يخرج صوتا غير إرادي، أقرب ما يكون إلى جرس الدعّ، وبتأمّل الإيقاع الموسيقي الذي يلقي في الحسّ معنى القوّة والحسم، وهو يوحي بتقدّمه إلى المكان الذي يساق إليه. وهكذا تتمتّع الكلمة بعلاقة الشكل والمضمون في تبليغ المعنى، فتنبع البراعة في توظيف القيمة الصوتية في رسم المعاني.

وقال عزّ وجلّ: "فمَنْ زُحْزِحَ عن النّارِ وأُدْخِلَ الجنّةَ فقد فازَ"[31]، فلفظة زَحْزَحَ، مناسبة لتصوير مشهد الإبعاد والتنحية بكلّ ما يقع في هذا المشهد من أصوات (الحاء) المكرّرة، والزاي المكرّرة، فاللفظة تبدأ بصوت لثوي ثمّ تعود إلى الحلقي ثمّ إلى تكرار ذلك، فتتجلّى الشدّة في صيغة المضاعف، وفيها من الصعوبة ما فيها، فكأن لفظة (زحزح) توحي بالقلق الذي يملأ صدور الناس في ذلك اليوم لشدة اقترابهم في جهنّم كأنّهم هم يبعدون أنفسهم عنها في مشقة وخوف وذعر[32]. ومثله قوله تعالى، "وما هو بمزحْزِحِهِ من العذاب"[33]

فالمفردة القرآنية تتجاوز دلالتها المعجمية، وقد تنتقل أحيانا إلى إيحاءات معهودة تفهم من السياق، وتعتمد التأثير الحسي، وتحافظ على علاقة الشكل والمضمون والتلازم بينهما.

يقول ابن الأثير:"واعلم أنّ تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأنّ التركيب أعسر وأشقّ، ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنّه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب. وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا إذا فكرت في قوله تعالى:" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماءُ وقُضيَ الأمرُ واستوت على الجوديِّ وقيل بعدا للقوم الظالمين" أنّك لم تجد ما وجدته لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى تركيبها، وأنّه لم يعرض لها الحسن إلاّ من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك إلى آخرها، فإن ارتبتَ في ذلك فتأمّل هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها وأفردت من بين أخواتها كانت لابسةً من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية"[34].

وقال تعالى:" وقيلَ لَهُم أيْنَ ما كُنْتم تعبدون من دونِ اللهِ هل يَنصُرونكم أو ينتصِرون، فكُبْكِبوا فيها وهُمُ الغاوون، وجنود إبليس أجمعون"[35]، فيظهر من لفظة(كبكب)، العنف والقسوة، فيتمّ تصوير أولئك المجرمين يكبون على وجوههم، ويلقون إلقاء المهملين، فلا يُقِم أحد لهم وزنا، ففي الكلمة (كبكب) جرس يحدث صوت الحركة التي تتمّ بها. فتسمع من جرس اللفظة صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام وصوت الدبدبة الناشئ من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه"[36].

وقد ذكر الزمخشري أنّ "الكبكبة تكرير الكبّ، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرار في المعنى كأنّه إذا ألقي في جهنم ينكب مرّة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها"[37].

خاتمة

إنّ لكلّ مفردة في القرآن الكريم دلالة محدّدة، وقيمة وظيفية مميّزة، وهناك فروق دقيقة بينها في الدلالة والاستخدام، فكلّ كلمة تحمل معنى خاصّا بها كل، تؤدي معنى مغايرالا تؤدّيها الأخرى التي تقترب من دلالتها، وتبعث في النفس إيحاءات خاصة. كما أنّ لكلّ واحدة مكانها اللائق بها، والتفاضل بينها إنّما يكون في النسج والتركيب.

ولا يتجلّى الترادف في التعبير القرآني، ومن يراه موجودا، فإنّما هو من عدم إدراك الفرق بين دلالة الكلمات، وذلك لتساهله في استعمالها، وظنّه أنّها تحمل معنى واحدا.

وقد توسّع الدكتور فاضل السامرائي أكثر من غيره في هذا البحر الذي لا تحدّ شطآنه[38].

الهوامش:

[1] – أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها. علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون،.دار الكتب العلمية، بيروت.لبنان.ط:1، سنة:1458هـ-1997م. ص:19-20.

[2] – أحمد ابن فارس، المصدر السابق، ص:20.

[3] – سورة الإسراء، الآية:88.

[4] – الأنبياء، الآية:89.

[5] أحمد بن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو. ذار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.(مادة ك،ل،م)

[6] – ينظر ابن منظور، لسان العرب. مادة (ف،ر،د).

[7] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين.تحقيق وشرح هبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،ج:1،ص:20.

[8] – سورة البقرة، الآية:155.

[9] – سورة البلد، الآية:14.

[10] –سورة هود، الآية:83.

[11] – ينظر أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية.منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت. ص:179.

[12] – سورة لقمان، الآية:34.

[13] –الخطابي، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. دار المعارف،ط:4،ص:29.

[14] – ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ج:1،ص:150.

[15] – سورة الشورى، الآية:59-60

[16]– سورة الزمر، الآية:39.

[17]– سورة الجن،الآية:4.

[18]– سورة الحجرات،الآية:9.

[19]–الزركشي، البرهان في علوم القرآن،:171

[20]– الحجرات، الآية: 14.

[21]–الدكتور بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن. دار الشروق، القاهر.مصر، ط:2، السنة:1396هـ–1976م،ص:183.

[22]– سورة الرعد، الآية:21.

[23]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص:751.

[24]–سورة فاطر، الآية:28

[25]– سورة النمل، الآية:10.

[26]– الزركشي، البرهان،ص: 752.

[27]–سورة التكوير، الآية:17–18.

[28]– ينظر د.الشيخ بكري أمين، التعبير الفني في القرآن.ذار الشروق، القاهرة.ط:2، سنة:1396هـ–1976م.ص:181–182.

[29]– سورة التوبة، الآية: 38.

[30]– الطور،الآية:13.

[31]– آل عمران،الآية:185.

[32]– من أساليب القرآن الكريم،ص:369

[33]– البقرة، الآية:96.

[34]– ابن الأثير، المصدر السابق،ج:1،ص:152.

[35]– الشعراء،الآية:– 94 .

[36]– ينظر د.طالب محمد إسماعيل الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني –دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني–دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.ط:1،سنة 1996،،ص:366.

[37]– الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، بيروت.ج:3،ص:119.

[38]– من كتبه: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني،شركة العاتط لصناعة الكتاب،سنة:2016،ولكنه شهير ببرنامجه التلفزيوني على قناة الشارقة بعنوان: لمسات بيانية.